٩٩٨/٤/١٤

الفكر العربي

مجلّة الإنماء العربي للعلوم الانسانيّة

تصدر عن معهد الإنماء العربي في بيروت

العدد الحادي والثلاثون كانون الثاني (يناير) ـ آذار (مارس) ١٩٨٣ السنة الخامسة

مستشارو التحرير

د. علي بن الأشهر — د. إحسان عبّاس — د. شكري فيصل
الشيخ عبدالله العلايلي — د. عمر التومي الشيباني — د. عبدالسلام المسدّي
د. مصطفى التير — د. معن زيادة — د. إبراهيم رفيدة

رئيس التحرير: رضوان السيّد

المدير المسؤول: عوض شعبان

العنوان

معهد الإنماء العربي
بيروت ـ لبنان
ص.ب المجلة: ١٤/٥٥٦٤ ص.ب المعهد: ١٤/٥٣٠٠

الهيئة القومية للبحث العلمي
طرابلس ص.ب ٨٠٠٤
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨٤١١
التاريخ / ٢٠١٤/٢/١٥

الثمن: ٢٠ ل.ل. أو ما يعادلها

العَرَبُ وأُورُوبا (★)

لويسُ يُونغ
مراجَعَة شربل لبّنان

الحضارة العربية الإسلامية، ودورها الإيجابي في مسيرة الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، والتأثير الحضاري الأوروبي على المجتمع العربي والإسلامي في العصر الحديث؛ هي العناوين الرئيسية لمضمون كتاب لويس يونغ «العرب وأوروبا». يحتوي الكتاب على مقدمة وعشرة فصول، تتناول بإسهاب المرحلة المتقدمة التي وصلت إليها الحضارة العربية ـ الإسلامية في ذلك العصر، والانتعاش السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي حققه العرب. وهنا لا بدَّ أن نشير إلى أن المعلومات والمراجع التي استند إليها الكاتب في كتابه تضفي على الموضوع أهمية خاصة، ليس بالنسبة للقارىء الأوروبي من حيث اطلاعه على منجزات العرب التاريخية وتأثيرها على حضارته فحسب، وإنما تنير القارىء العربي وتقدِّم له منجزات أسلافه بكتاب مختصر، في وقت يكاد فيه الهجوم التغريبي على تراثنا يعمي أبصارنا ويجعلنا في حالة انفصام مع الذات والواقع.

تشير مقدمة الكتاب إلى بداية الاهتمام الأوروبي بالحضارة العربية من خلال الوجود العربي في اسبانيا وصقلية، والغزوات الصليبية. يندرج هذا الإهتمام في شكلين: الأول، كان الإهتمام في العصور الوسطى ناتج عن الإدراك بالتفوق العربي الإسلامي، فحاولوا نقل ما توصل إليه العرب من علوم الى اللاّتينية. أما الشكل الثاني، في العصر الحديث الذي دفع الأوروبيين الى الإستشراق، فقد كان محكوماً بتأثير الهواجس الاستعمارية.

ويتناول الفصل **الأول** تاريخ العرب في الجاهلية والحضارات التي نشأت آنذاك في جبال اليمن وحضرموت. وبعد ذلك في نجد والحجاز وصولاً إلى ظهور النبي محمد والدعوة الاسلامية. مستعرضاً العادات والتقاليد الجاهلية، كالحسب والنسب والعبادات الوثنية. ويعتبر الكاتب أن الدعوة الإسلامية ارتكزت على التقاليد الجاهلية كخلفية أساسية لتنجح في مهمتها الثورية، مشيراً مثلاً إلى الكعبة التي كان يؤمها الحجاج من أنحاء الجزيرة العربية، والتي كانت تمثل «هبل» إلّه القمر في الجاهلية فأصبحت رمزاً إسلامياً مقدساً. ويركز في نهاية هذا الفصل على مسألة «الجهاد في سبيل الله» الذي أباح الدفاع عن الإسلام بقوة السلاح من أجل انتصار الدعوة وانتشارها. إذ بعد انقضاء أقل من مئة سنة على وفاة النبي، كانت الدولة الاسلامية قد امتدت من جنوب فرنسا غرباً الى حدود الصين شرقاً، والتي سنرى انعكاساتها في الفصل الثاني.

(★) لويس يونغ: العرب وأوروبا. ترجمة ميشال أرزق. دار الطليعة ١٩٧٩، (٢٢٠ ص).

ويشير الفصل **الثاني** إلى دور الإسلام في تفجير الطاقات الكامنة في العرب؛ والتي وجدت متنفسها في إقامة إحدى الإمبراطوريات العظمى في العالم خلال خلافة الراشدين والأمويين. ويرى أنه إذا كان العباسيون لم يقوموا بأية فتوحات تذكر، فقد كرسوا الانتصارات التي حققها أسلافهم بنشر اللغة العربية في البلدان التي تم فتحها، إضافة إلى استيعاب الحضارات القديمة في الشرق والغرب، فأصبحوا من خلال تلك الفتوحات على اتصال بكل الحضارات اليونانية والسريانية والهلينيّة (وهذه الأخيرة تأثر الفارسيون بها). ويستطرد بالقول إن استقرار الإمبراطورية في العصر العباسي، دفع إلى تنشيط الترجمة من علوم وفلسفة الحضارات السابقة الذكر بحيث أغنت الحضارة العربية وشذبتها. كما يرى في الحركات السياسية والدينية التي نشأت والتي كانت تتمتع بخلفيات عقائدية، أنها طورت الكثير من البحوث والإجتهادات. وينوه من جهة أخرى بفضل الترجمة العربية في حفظ الحضارة اليونانية وتطويرها؛ إذ وصل الكثير من النصوص اليونانية إلى الغرب عن طريق اللغة العربية، بعد أن فقدت النسخ الأصلية اليونانية.

المجتمع العربي

يشتمل الفصل **الثالث**، في تعريفه بالمجتمع العربي، على التشريع الإسلامي وصفته الدينية والدنيوية وما يحتوي من العبادات والمعاملات والعقوبات، مشيراً إلى تباين الآراء في تفسير قوانين الشريعة الذي أفرز مذاهب عدة في الإسلام. ويشيد بمستوى القضاء الإسلامي الذي يلحظ «أن المدعى عليه بريء حتى تثبت إدانته». والحكومة التي يعتبرها عملاً متقدماً في حينها التي ربطت المجتمع ووحدت القبائل في قبيلة واحدة، ليست قائمة على مفاهيم الحسب والنسب، ولكنها قامت على تقبل رسالة الاسلام، كما يشير إلى المراتب التي استحدثت في نظام الحكم، ونظام «الذمية» في الدولة الاسلامية.

ويعتبر الكاتب أن الحكم الفعلي للخلافة العربية في الاسلام قد انتهى في القرن العاشر، لتتولى السلالات الحاكمة من تركية وفارسية شؤون الدولة الإسلامية. ويتطرق هذا الفصل إلى تطور مفاهيم الأسرة، عما كانت عليه في الجاهلية من حيث تحديد عدد الزوجات بعد أن كان التعدد غير محصور، ويقارن بين وضع المرأة غير المؤات في الاسلام، والوضع السيء للمرأة الأوروبية إلى فترة قريبة من العصر الحاضر. كما يرى في نظام الزكاة أنه كان عملاً عظيماً وهو بمثابة «الضمان الاجتماعي» للفقراء. ويشير أخيراً إلى الدور التجاري الهام الذي لعبه المسلمون في العالم لعدة قرون، والناتج عن النفوذ الواسع للامبراطورية المترامية الأطراف. ويستنتج أن العرب قد عرفوا نظام الشركات والكمبيالات. كما كان للزراعة شأنها لديهم، إذ كانوا أول من استنبط علم النبات، وظهرت عدة حدائق في القرن الحادي عشر في حين لم تنشأ أية حديقة في أوروبا قبل عام (١٥٤٥ م). في «بادوفا» الإيطالية. وقد بلغت التقنية حداً كبيراً في فن البناء الذي يعرف اليوم بالفن الإسلامي. وفي نهاية الفصل حديث عن عناية العرب بمرضاهم، بحيث كان الطبيب العربي سيد عصره في هذا المجال. وبقي الأوروبيون يستندون إلى طب العرب قبل معرفتهم بالطب الحديث.

الحياة الفكرية والفنية عند العرب

في الفصل **الرابع**، يتحدث الكاتب عن أشكال المعرفة عند العرب والتي تتجسم في شكلين: الفلسفة، والعلوم الدينية، متناولاً المذاهب الفكرية في الإسلام «كالمعتزلة» و «الأشعرية»، ودور «الغزالي» و «المذاهب الصوفية». وينصرف بعد ذلك إلى الحديث عن اللغة العربية، والمراكز اللغوية، التي أقيمت في كل من البصرة والكوفة ودراسة الفارسيين لها، معدداً أهم علماء النحو، كأبي الأسود

الدؤلي، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه. أمَّا الادب العربي الذي توسع مع الاسلام إلى خارج حدود الجزيرة العربية، فقد ارتبط بالسلطة الحاكمة. كما ظهر شعر الغزل في العصر الأموي، وأولى المحاولات النثرية على يد عبد الحميد الكاتب، وتطورها من خلال «ابن المقفع» و«الجاحظ» و«المعرّي» في فن الرسالة، والمقامة لـ «بديع الزمان الهمداني» وشعراء كـ «ابن الرومي» و«ابو الطيب المتنبي». كما كان كتاب «الف ليلة وليلة» في القرن الثالث عشر الذي لقي إعجاباً منقطع النظير في أوروبا.

وبالنسبة للتأريخ والسيرة الذاتية، يرى صاحب الكتاب أن ولع العرب بالأنساب، كان في البداية حجر الأساس لعلم التاريخ العربي. ويذكر أهم المؤرخين، كـ «الطبري» و «المسعودي» و «ابن عساكر» و «المقريزي». ويصف «ابن خلدون» بأنه أشهر المؤرخين العرب في القرون الوسطى، الذي أرسى حقلاً من العلم، يعرف الآن بعلم الاجتماع وفلسفة التأريخ والعلوم السياسية. وفي لفتة منه إلى علوم العجم، يعين «الفارابي» كأهم الفلاسفة، الذي أسهم في الفلسفة الميتافيزيقية وعلم النفس والمنطق. وفي الرياضيات: «الخوارزمي» مؤسس علم الجبر، و «ابن الهيثم» في الفيزياء، و «البيروني» مكتشف أول مقياس للثقل النوعي. وظهور أول مرصد عربي في أيام المأمون. كما كان «للإدريسي» أهم عمل جغرافي، يشير إلى افتراض أن الأرض كروية.

ويتحدث أخيراً بشكل مسهب عن الفن الإسلامي، والتعليم في الاسلام ومؤسسات التعليم العالي التي نشأت مثل «بيت الحكمة» في بغداد و «الأزهر» في مصر.

تأثيرات الحضارة العربية في أوروبا العصور الوسطى

الفصل **الخامس** من الكتاب، يستعرض في البداية تأثيرات الحضارة العربية في أوروبا من خلال مجموعة ضخمة من المفردات التي استعارتها اللغات الأوروبية عن العربية. ويرى ان الحضارة الاسلامية عبرت إلى الغرب بواسطة ثلاثة طرق رئيسية وهي: إسبانيا، وصقلية، وسورية وهذه الأخيرة لعبت دوراً بواسطة الحملات الصليبية. ويرى أن القرن الثاني عشر شهد ظهور حضارة مسيحية ـ إسلامية في صقلية، معتبراً انها ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ العلاقات بين العرب واوروبا.

وانطلاقاً من هذه التأثيرات العربية، يتناول الكاتب الفلسفة الأوروبية وجوانب تأثرها بكل من الغزالي والفارابي وابن سينا وابن رشد (حيث ترجم أعمال هذا الأخير توما الأكويني) والذي تأثر به تأثراً ملحوظاً. أما كتاب ابن طفيل «حي بن يقظان»، فقد لقي إهتماماً مشهوداً في القرن السابع عشر لدى البروتستانت، بحيث ترجم إلى اكثر من خمس لغات. والجدير ذكره أن أحد أوائل الأوروبيين الذين أخذوا بالارقام العربية هو (جربرت)، الذي أصبح البابا سيلفستر الثاني، وقد تبنت أوروبا هذه الأرقام في لغتها فيما بعد. ويشير الكاتب الى تأثير «إبن الهيثم» في الفيزياء، الذي ترجم كتابه في علم البصريات إلى اللاتينية، كما كان «لجابر بن حيّان» في علم الكيمياء بصماته على العلوم الأوروبية. وقد تبنت أوروبا العصور الوسطى نظام الطب العربي، بحيث كان الطب الأوروبي يومها عبارة عن سحر ودجل وتعاويذ. ومن ناحية أخرى، يرى الكاتب أن الأوروبيين قد أخذوا عن العرب الآلات الموسيقية، التي لا زالت لليوم بأسمائها العربية مثل: الربابة، Rebec والقيثارة، Guitar ... إلخ. كما ترجمت إلى اللاتينية كتب الفارابي وابن رشد في النظرية الموسيقية.

الصلات العسكرية والتجارية

يتضمن الفصل **السادس** الصلات التي نشأت بين العرب والأوروبيين العسكرية منها والسياسية والتجارية حتى

خاتمة الطبع

حامداً لله ومصلّياً على رسوله الكريم، فقد نجز طبع القرآن الكريم وتجليده بمطبعة الحكومة في مدينة طشقند عاصمة ازبكستان السوفيتية، تحت إشراف الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان وبمصارفها إسهاماً منها في العيد الاسلامي العالمي، بمناسبة مرور ألف وأربعمائة عام لنزول القرآن العظيم، ووقع الاختيار على اتخاذ هذه النسخة المطبوعة في طشقند سنة ١٩١٣، أصلاً لطبعنا هذا، إذ كانت ممتازة بخطها الجميل محررة في رسمها وفي قراءاتها وعدِّ آيها، على ما قرّره علماء هذا الفن وأئمة هذا الشأن. على أنه قد قامت لجنة من كبار القراء بدراستها وتحقيقها من تلك النواحي، وبإصلاح أخطاء مطبعية وجدت فيها؛ فجاءت، إن شاء الله تعالى، منقّحة. والله يعفو عمّا زاغ عنه البصر وطغا فيه القلم. وهذه ثالث طبعات القرآن، قامت بها الادارة الدينية في هذه السنوات العشر الأخيرة، وفقنا الله سبحانه لخدمة كلامه كما ينبغي والحمد لله أولاً وآخراً، وكان سنة ١٣٨٨ هجرية.

وألحقت هذه الطبعة، في آخرها، بصفة خاصة تضمّنت رموز وعلامات الوقف، وأخرى فيها فهرس السور بأسمائها وأرقام صفحاتها. وبعد نهاية سورة **الناس**، آخر سور القرآن الكريم، حسب النص التوقيفي المأثور عن النبي **محمد صلى الله عليه وسلم**، زُيِّنت الصفحة بأختام أسماء اللجنة التي قامت بكتابة المصحف وأشرفت على طباعته، وهم: الكاتب ميرزا هاشم خوجندي، وقاضي شرع خواجه علام رسول خلف، خواجه محمد رسول، وملاً محمد صابري قادري تاشكندي.

وهذه الطبعة، أتبرَّك بحيازتها، وهي هدية قدمها لي سماحة المفتي الشيخ ضياء الدين باباخانوف، عندما كنت في طشقند تلبية لدعوة سماحته للاشتراك بالذكرى السنوية العاشرة لصدور مجلة « المسلمون في الشرق السوفياتي » الناطقة باسم الادارة الدينية لمسلمي طشقند وقازاغستان، وذلك في شهر شعبان المعظم (١٣٩٩ هـ) الموافق شهر تموز/يوليو (١٩٧٩ م)، وهذه الطبعة بالحجم الكبير وهي مجلدة تجليداً فاخراً.

وفي سنة (١٩٦٩ م)، صدرت طبعة من القرآن الكريم بالحجم الكبير، وبعد ذلك بسنة أي في سنة (١٩٧٠ م)، أصدرت الإدارة الدينية لمسلمي طشقند وقازاغستان طبعة من القرآن الكريم بالحجم الصغير. وفي المدة الأخيرة، أي سنة (١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م)، اشتركت الإدارات الدينية الأربع في الاتحاد السوفياتي بإصدار طبعة جديدة للقرآن الكريم على نفقتها مجتمعة؛ وجرى تصحيح هذه الطبعة على يد مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر. وقد اعتمدت هذه الطبعة على الأصل الذي قدمه لهذه اللجنة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر؛ وقد أُنهي هذا المصحف بعد دعاء الختم بفهرس للسور. وبعد هذا الفهرس تبويب آيات أحكام القرآن وتوجيهاته، الذي تضمَّن الموضوع والسورة أو الآية التي تتناوله مع تحديد رقم السور والآيات، بحيث يسهل على

تالي هذا الكتاب الكريم العثور على الآية التي تتناسب مع الآية المطلوبة، وهذا التبويب قُسِّم إلى (١٦) باباً وهي التالية:

١ ـ الصلاة، والغسل، والوضوء والتيمم.

٢ ـ الزكاة والصدقات.

٣ ـ الصيام.

٤ ـ الحج والعمرة.

٥ ـ الإحسان إلى الوالدين وذي القربى.

٦ ـ الزواج والايلاء والظهار والطلاق والرضاع والعدة.

٧ ـ الميراث.

٨ ـ اليمين.

٩ ـ الربا والخمر والميسر.

١٠ ـ المعاملات.

١١ ـ الاصلاح بين الناس والاتحاد والشورى.

١٢ ـ الشهادة بالحق والحكم بالعدل وأداء الواجبات بأمانة.

١٣ ـ القصاص.

١٤ ـ الجهاد.

١٥ ـ آداب وأخلاق وتوجيه.

١٦ ـ شكر ودعاء وابتهال ومناجاة وتسبيح واستعاذة.

أما ختم الطبعة من هذا المصحف، فهو العبارات التالية التي تحدِّد الأصل الذي اعتمد في الطبع، والجهة التي تولت التصحيح وأعطت الموافقة بالنشر، والهيئات التي تولت الانفاق على هذا المشروع، ثم تاريخ صدور هذه الطبعة. وهذا هو النص المكتوب:

طُبع هذا القرآن المجيد من أصل المصحف الشريف الذي قدمه لنا الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وصححه مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر، طبع على نفقة الإدارات الدينية الأربع لمسلمي الاتحاد السوفياتي، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

وهذه النسخة بحيازتي، وهي هدية قدمت لي من قبل سماحة الشيخ ضياء الدين باباخانوف، عندما كنت في طشقند في شعبان سنة (١٣٩٩)، تموز /يوليو سنة (١٩٧٩). وهنا، فإننا نحب أن نعرب عن إعجابنا بما